دلالة المكان في صور الجنة والنار في القرآن الكريم

الاستاذ المساعد الدكتور
عمار عبد الامير السلامي
عميد الكلية الاسلامية الجامعة ـ النجف الاشرف

دلالة المكان في صور الجنة والنار في القران الكريم

الاستاذ المساعد الدكتور
عمار عبد الامير السلامي
عميد الكلية الاسلامية الجامعة ـ النجف الاشرف

المقدمة

المكان جزء أساس من أجزاء الصورة ، فهو الفضاء الذي تتشكل في داخله الأشياء ، أو هو الحيز الذي تشغله تلك الأشياء ، فالمكان هو الموضع الحاوي للشيء [١]، والفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه ابعاده [٢]، ولا توجد صورة خالية من المكان ، وإن قربت من حدود الإطار ، أو ملأت أبعاد المنظور ، فالمكان يظهر في خلفية الصورة كما يظهر في الحيز الذي تشغله وكأنه القماش الذي تُرسم عليه .

وكلما اعتنى المبدع في رسم تفاصيل المكان ، كانت الصورة أوضح ، فالمتلقي يزداد تفاعله مع الصورة حين تكون واضحة الأجزاء دقيقة التفاصيل ، بل ان رسم المكان وتوضيحه يزيد من واقعية الصورة وتأثيرها .

وقد شغلت الصورة الفنية حيزاً كبيراً من النص القرآني، فقد عبر القرآن الكريم بالصورة المُحَسَّة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن الانموذج الإنساني والطبيعة البشرية.. وغيرها [٣].

ولعل من أبرز تلك الصور في القرآن الكريم صور الجنة والنار في الآخرة، تلك الصور التي استعملها الخالق عز وجل في إطار الترغيب والترهيب اللذين يشكلان جزءاً لا يتجزأ من منظومة القرآن الكريم في كونه كتاب هداية واصلاح .

ولأهمية المكان في رسم الصورة جاء هذا البحث ليسلط الضوء على دلالة المكان وأثره على المتلقي ترغيباً وترهيباً، وذلك من خلال الوقوف على طبيعة المكان في صور الجنة والنار، وكيف تناولها النص القرآني، وكيف حدد أبعادها ورسم تفاصيلها ، وهل هناك فرق في رسم أبعاد المكان وتفاصيل اجزائه بين صور الجنة وصور النار في القرآن الكريم أم لا ؟.

وهنا لابد أن أشير إلى إنني سأتناول المكان ودلالته من الناحية الفنية في الصورة، منطلقاً من كونها عبارة عن تركيب لغوي مستقل، يعبر عن منظور واقعي أو خيالي، يستعمله المبدع في سياق معين لغرض خلق تأثير عقلي أو عاطفي مقصود عند المتلقي، يتمثل بالوظيفة، التي من أجلها استعملت الصورة في ذلك السياق، وليس من كون تلك الصورة وأبعادها والمكان الذي تشغله في الآخرة مادية أو معنوية ، جسمانية أو روحانية ، تاركاً الخوض في هذا المجال إلى خارج إطار هذا البحث .

فالمكان الذي اقصده هنا هو ذلك المكان الذي تستثيره اللغة في خيال المتلقي، ومدى تأثيره عليه ترغيباً وترهيباً في صور الجنة والنار في القرآن الكريم .

وسوف اتناول في هذا البحث بعد المقدمة دلالة المكان في صور الجنة في القرآن الكريم، لانتقل بعد ذلك إلى دلالة المكان في صور النار، معتمداً في ذلك على تحليل الصور الفنية فيهما، ولاسيما عند بعض المفسرين الذين تميزوا بالوقوف على الملامح البلاغية في التصوير القرآني من امثال الزمخشري وابن عاشور وغيرهم، واختم البحث بأبرز النتائج والاستنتاجات التي سأخرج بهما، معقباً بثبت الهوامش وقائمة بالمصادر والمراجع .

دلالة المكان في الجنة في القرآن الكريم صور

عند وقوفنا على صور الجنة في القرآن الكريم نجد أن اغلبها رسمت داخل فضاء مكاني عام يتمثل في (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، ذلك المكان الذي رُسِمت في داخله أغلب صور النعيم في الآخرة، فهي الصورة الكبرى التي تضم داخلها صوراً جزئية مختلفة لأنواع النعيم التي أعدها الله تعالى للصالحين من عباده في الآخرة .

قال تعالى :[وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] (البقرة :٢٥)، فالمكان هنا يمثل ضلعاً أساس من اضلاع صورة الجنة في القرآن الكريم، وهي المتمثلة بـ(المكان، والمأكل والمشرب ، والزواج ، والزمن الممتد إلى الخلود)، بل لا تكاد تخلو صورة للجنة منه، فهو أكثر الاضلاع ظ هوراً في تلك الصور ، وأولها ذكراً وتناولاً أيضاً .

يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في تفسير هذه الصورة " والجنان : جمع جنة . والجنة البستان . والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من أشجارها وأثمارها ، وغروسها دون أرضها ، فلذلك قال :[تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] لأنه معلوم انه أراد الخبر عن ماء أنهارها انه جار تحت الأشجار والغروس والثمار لا انه جار تحت

أرضها، لأن الماء إذا كان تحت الأرض جارياً، فلاحَظَّ فيه للعيون إلا بكشف الساتر بينه وبينها ، على أن الذي يوصف به أنهار الجنة أنها جارية في غير أخاديد " [٤].

وإلى مثل ذلك ذهب الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في الكشاف . فالجنة عنده : " البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه ... والتركيب دائر على الستر، وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرّة، من مصدر جنه إذا ستره، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها " [٥].

وقد جاء لفظ الجنة هنا في (جنات تجري من تحتها الأنهار) على الجمع والتنكير، وذلك لوجود جنان كثيرة مرتبة على حسب استحقاق العاملين ، كل طبقة منهم جنات من تلك الجنان [٦].

والنهر : المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر، وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي، وقد عرَّفت الأنهار هنا بخلاف الجنات وذلك لاحتمال إرادة الجنس أو التعويض بالتعريف باللام عن التعريف بالإضافة . أي : أنهارها ، أو أراد الإشارة إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى :[فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ...] (محمد :١٥)، اذ ذكر الله تعالى أنواعاً مختلفة من الأنهار في الجنة [٧].

إلا ان ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) يرى في تعريف الأنهار سبباً يرجع إلى التفنن لئلا يعاد التنكير مرة ثانية ، فخولف بينهما في اللفظ اقتناعاً بسورة التعريف [٨].

وأما دلالة (من) في قوله (من تحتها)، فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنها : إمَا ابتدائية أو تبعيضية، فإن الماء لا يجري في جميع أسافل الاشجار بل في بعضها [٩]، فـ (من تحتها) قيد كاشف قصد منه زيادة احضار حالة جري الأنهار، وهو وصف جيء به لتصوير الحالة للسامع لقصد الترغيب وهذا من مقاصد البلغاء [١٠].

ويرى الزمخشري صورة جري الأنهار من تحت الأشجار بانها كصورة الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية [١١].

وذهب البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) إلى احتمال أن يكون المعنى أن أرضها منبع الأنهار، فتحت كل شجرة منبع نهر ، فهي لا تزال غضة يانعة لا كما يجلب اليها الماء وربما ينقطع من وقت لآخر [١٢].

لكنّ السيد السبزواري ﷺ (ت ١٩٩٢) يرى أن جملة (تجري من تحتها الأنهار) تستعمل في القرآن الكريم مع لفظ الجنات غالباً وتشمل جميع الاقسام التي يمكن تصويرها في جريان الماء

ونبوعه تحت ظلال الاشجار المطابق للأذواق الحسنة المتعارفة بين الناس [١٣].

أي أن في العبارة ايحاء أوسع من تقييد صورة الماء وهو ينبع من تحت الأشجار أو من بين فروع جذورها أو يجري من جميع أسافل الأشجار أو من تحتها، بل العبارةُ تعطي مجالاً واسعاً لخيال المتلقي ليرسم صوراً مختلفة لصورة جريان الماء تحت ظلال الاشجار وكل حسب مخيلته وثقافته .

وقد ورد ذكر الأنهار مقترناً بذكر الجنات في أغلب صور الجنة [١٤]، وذلك لأن " أنزه البساتين وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة، والأنهار في خلالها مطردة، ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنُسُ الاعظم فائتاً كتماثيل لا أرواح فيها ، وصور لا حياة لها " [١٥].

وقريب من هذا ما جاء في قوله تعالى :[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] (الحجر : ٤٥)، وقوله تعالى :[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] (الدخان : ٥١ – ٥٢)، وقوله تعالى :[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ] (الذاريات : ١٥) .

إذ أبدَل الأنهار هنا بالعيون ، والعيون : جمع عين، اسم لثقب أرضي يخرج منه الماء من الأرض [١٦]، وهي منبع الأنهار ومصدرها ، وعادة ما تكون أكثر منها ارتفاعاً واصفى منها ماءً، وكأنّ هذا الوصف لهذا المكان في الجنة ورد لمكان مخصوص خُصَّ به المتقون دون غيرهم إكراماً لهم وجزاءً لتقواهم في الحياة الدنيا .

ففي قوله تعالى :[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ] (المرسلات : ٤١)، نجد أن الله قد استعّاض عن الجنات بالظلال وعن الأنهار بالعيون، وذلك لأن اجمل ما في الجنان والبساتين هي ظلال أشجارها، واذا اجتمع الظل مع العيون فقد اجتمع في المكان الحُسنيين، وكأنه هنا وصف أجمَلَ مكانٍ في الجنة وأنفسهُ.

فعادة ما يكون الظل وصفاً لمكان مختار في الجنة وركناً أساساً من أركان الجمال فيها قال تعالى :[مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ] (الرعد : ٣٥)، إلاَّ أن (الظل الضليل) في قوله تعالى :[وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا] (النساء : ٥٧) مكان أكثر تميزاً من بقية الأمكنة، نلتمس فيه دلالة الستر عن عيون الرقباء فضلاً عن

تلطيف هواء المكان، وقد جاء ذكره هنا متناسقاً بعد ذكر الأزواج المطهرة التي رزقها الله المتقين في الجنة والمناسبة واضحة .

ولكي لا يظن المتلقي أن صورة المكان في الجنة تنحصر في صورة البساتين التي تجري من تحتها الأنهار ، الأمر الذي ربما يتصور بأن حياة النعيم في الآخرة تتمثل بحياة الانسان متنقلاً داخل الحقول والبساتين خالداً فيها متنعماً بجمالها فقط . وهو الأمر الذي لا يقف عنده النص القرآني الحكيم ، فهو في الوقت الذي يرسم الملامح العامة للمكان في الجنة ، يرسم أيضاً بعض التفاصيل المكانية الموجودة داخل ذلك الإطار العام . تلك التفاصيل والأماكن ترسم أيضاً ملامح نعمة، وأشكال متعة تهفو اليها النفس الإنسانية وهي تتلقى ذلك الخطاب القرآني الذي يرسم في مخيلتها ملامح أجمل مكان يمكن أن يتمناه الانسان .

وقد ذكر النص القرآني بعض ملامح المكان الخاص داخل ذلك المكان العام في آيات متفرقة من الكتاب العزيز .

ففي سورة التوبة نجد تفصيلاً جديداً للمكان في الجنة، فقد ذكر الله تعالى المساكن التي يسكن فيها الصالحون في الجنة، قال تعالى :[وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] (التوبة : ٧٢)، فالمسكن تفصيل مكاني يحتاجه الانسان ويرتبط بحياته الإنسانية وطبيعة تكوينه ، فالإنسان لا يمكن أن يبقى متنقلاً داخل السهول والبساتين والغدران والأنهار مهما كانت جميلة ورائعة من دون الحاجة إلى مسكن يأوي إليه ويرتاح فيه ويسكن عنده ، وكلما كان المسكن موافقاً لرغبات الانسان كان أجمل وأكثر تشوقاً وترغيباً، ولهذا وصف النص المقدس تلك المساكن بالمساكن الطيبة وهو وصف يفتح المجال واسعاً لخيال المتلقي لتخيل ذلك الطيب وكيفيته وصورته مكاناً وتكويناً وهدوءاً وطبيعة حياة [١٧].

ولكن لماذا جاء ذكر المساكن في هذه الآية المباركة مضافة إلى ذكر الجنات التي تجري من تحتها الأنهار بخلاف تلك التي جاءت خالية من هذا التفصيل المكاني في أماكن أخرى من النص القرآني ؟! ولعل الجواب نجده في الاشارة إلى وجود تناسب لذكر المساكن في هذا السياق بخلاف تلك النصوص التي لم يرد فيها .

فمثلاً نجد أن الآية المباركة بدأت بذكر (المؤمنين والمؤمنات) وان الله تعالى وعدهم بتلك الجنات والمساكن جزاء صبرهم وجهادهم وتقواهم وأعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا . وهو الأمر الذي يوحي في خيال المتلقي صورة الحياة الزوجية للمؤمنين والمؤمنات في الحياة الدنيا، ومعاناتهم وصبرهم وجهادهم معاً في تلك الحياة،

فضلاً عن أعمالهم الصالحة فيها تلك التي يستحقون عليها الجزاء في الآخرة حياة هادئة متنعمة في مساكن تملؤها الطيبة والراحة والسعادة .

وهذا بخلاف الآيات الأخرى التي لم يرد فيها ذكر المساكن الطيبة وإنما جاء ذكر صورة المكان العام المتمثل بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار فقط، تلك التي بدأت أغلبها بذكر (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أو (الذين اتقوا) أو (الذين صبروا) أو (السابقون السابقون) وغير ذلك [١٨]، ولم تبدأ بذكر (المؤمنين والمؤمنات) .

وكذلك نجد بأن هناك ثمة ما يشبه التمهيد لذكر المساكن ورد قبل هذه الآية في السورة المباركة ، اذ ذكر الله تعالى جملة وصايا للذين أمنوا تمثل مقتضيات الإيمان وشعاره ، وذلك في قوله تعالى :[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (التوبة : ٢٣ – ٢٤) .

فقد ذكر النص المساكن التي يتمسك بها الإنسان في جملة الملذات الدنيوية التي تمنعه من الجهاد في سبيل الله ، وان من يتمسك بهذه الملذات هم القوم الفاسقون الذين يخرجون عن وصف المؤمنين ولا يدخلون في معيتهم .

لذلك جاء فيما بعد بذكر المساكن الطيبة في تلك الجنات، وكأنها تُمثل عوضاً عن تلك المساكن التي يضحي بها الإنسان مرضاة لله والتزاماً بأوامره .

وفي سورة العنكبوت ذكر الله تعالى في كتابه الكريم تفصيلاً مكانياً آخر مضافاً إلى التفصيل العام المتمثل بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار ، وهذا التفصيل يتمثل بـ(الغرف) التي أعدها الله لعباده داخل تلك الجنان في الآخرة . قال تعالى :[وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ] (العنكبوت : ٥٨) . فقوله (لنبوئنهم من الجنة غرفاً) أي : لننزلنهم من الجنة علالي [١٩]، فالغرُف : جمع غرفة ، وهو البيت المعتلى على غيره [٢٠].

وقد قيل ان هذه الآية نزلت في بعض المستضعفين المؤمنين من أهل مكة الذين أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقالوا كيف نخرج اليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومن يطعمنا ويسقينا[٢١]، فنزلت هذه الآية تطميناً لهم بأن الله اعد لهم غرفاً عاليات في الجنة تجري من تحتها

الأنهار، وقد وصف ابن عباس رضي الله عنه هذه الغرف بانها غرف الدر والزبرجد والياقوت [٢٢].

واما مناسبة ذكر الغرف هنا في هذه الآية ، فقد انتبه اليها ابن عاشور . وعد ذلك لطيفة من لطائف القرآن الكريم ، فبعد ان ذكر الله تعالى صور عذاب الكافرين فيما قبل هذه الآية بقوله :[يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] (العنكبوت : ٥٥)، اعقبها بعد ثلاث آيات بذكر صورة نعيم المؤمنين في الجنة، وان الله اعد لهم في الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار ، فقد قابل هنا غشيان العذاب للكفار من فوقهم ومن تحت ارجلهم بغشيان النعيم للمؤمين من فوقهم بالغرف ومن تحتهم بالأنهار [٢٣].

وقد فَصَّلَ الفخر الرازي هذه المقابلة أيضاً ، وأشار إلى ان الأنهار تجري من تحتهم جاءت بمقابلة العذاب الذي يجري من تحت ارجلهم ، واما العذاب الذي من فوقهم في النار لم يقابله بذكر شيء فوقهم في الجنة ، وإنما اكتفى بذكر الغرف للمؤمنين الذين يكونون في أعلى عليين، فلم يذكر فوقهم شيئاً اشارة إلى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم[٢٤].

ولعل في الاشارة إلى (الغرف) في هذا السياق دلالة نفسية على للمتلقي، ففي صورة الغرف هنا دلالة للأمان والطمأنينة لأولئك المساكين المستضعفين في مكة ، أكثر من دلالتها على الثراء والغنى والسكن في قصور الدر والياقوت والزبرجد .

فالسكن في الغرف يعني حصول الإنسان على الشعور بالهدوء والحماية من العواصف والاخطار وعوادي الدهر التي اعتاد عليها في الحياة .

وكذلك ربما لم يحلم المؤمنون الذين نزلت بهم هذه الآية بالقصور، أو لم يتصوروها ، لأنهم فقراء لا يملكون إلا بيوتاً على شكل غرف متواضعة ، فجاء الوعد الالهي بان لهم عوضها غرفاً في الجنة، ولكن بصورة أجمل وأكمل بطبيعة الحال . لأنها غرف تجري من تحتها الانهار، تاركاً للمتلقي ليرسم بخياله – وكل حسب مخيلته ومقدرته – صور تلك الغرف واشكالها والوانها وكيفية جريان الماء من تحتها . ولعل الدلالة هنا تختلف عن دلالة مكان آخر وصفه الله تعالى في الجنة لبعض المؤمنين . وذلك في قوله تعالى :[لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ] (الزمر : ٢٠)، فصورة المكان هنا ترسم في مخيلة المتلقي صور القصور والبيوت الفارهة تلك التي تعطي دلالة النعمة والتميز والمكانة الرفيعة التي لا يستحقها إلا اولئك الذين اتقوا ربهم واجتنبوا الطاغوت وانابوا إلى الله واستمعوا احسن القول فهداهم الله فكانوا اولي الالباب [٢٥].

وقد جاء هذا الوصف المكاني الممثل لجزاء الله ونعمته لبعض المؤمنين في مقابل ما ذكره سابقاً في سياق السورة، عندما وصف شكل العذاب للخاسرين بأنه أعدَّ [لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ] (الزمر : ١٦) .

لذلك كان من المناسب ذكر ما يقابل ظُلَل العذاب التي من فوقهم في النار بالغرف العالية التي يسكنون فيها في الجنة، وفي مقابل ظلل العذاب التي من تحتهم في النار . ذكر الأنهار التي تجري من تحتهم في الجنة . فالله تعالى اعد للمؤمنين قصوراً مبنية ومنازل رفيعة بعضها فوق بعض تجري من تحتها الأنهار [٢٦]، وذلك لأن النظر من الغرف إلى الخضرة والمياه أشهى والذ [٢٧]، وليس هذا فقط، بل وصف تلك الغرف بأنها مبنية جاء للدلالة على أنها غرف حقيقية [٢٨]، احترازاً من تصور نوع آخر من الغرف كتلك المنحوته في الجبال أو غير ذلك [٢٩].

فهي غرف مبنية بناءً بالغاً الغاية في نوعه [٣٠]، فهي منازل مستجمعة لكل الفضائل ، عالية مرتفعة وفي غاية القوة والشِدَّة [٣١].

وأما جري الانهار من تحتها، فيمكن ان يتصور بأنها تمر على ما يجاور تحتها ، فاطلق اسم تحت على المجاورة ، ويمكن ان تكون الانهار تجري تحت أُسسها وتمرّ فيها وفي ساحاتها وذلك بأن يصعد الماء إلى كل غرفة فيجري تحتها [٣٢].

ولعل هذا التنوع في النعِمَ باختلاف أنواع المساكن وأشكالها وحجومها جاء لتلبية رغبات الناس كل حسب ما يتوق إليه ويرغب بالحصول عليه، فالذي يرغب في العيش البسيط كان البيت المتواضع غاية نواله والغرفة المتوسطة الجنة منتهى رغبته . والذي يرغب في البيت الكبير جعلت له القصور المبنية غرفها بعضها فوق بعض أمام عينيه ومنتهى أملهُ وجائزته . أي ان النص المقدس قصد تلبية رغبات جميع البشر على اختلاف مشاربهم ورغباتهم وأحوالهم وما ذلك إلا لأنه كتاب أنزله الله لجميع الناس ورحمة للعالمين . والبشر في اختيارهم للبيوت والمساكن أنواع ومشارب . وهذا ما أشار إليه باشلار نقلاً عن بعضهم حيث ذكر أنه : يمكن تقسيم الناس إلى الذين يطمحون لِسُكنى الكوخ وإلى الذين يطمحون لِسُكنى القصر . وليس هذا فقط بل ذكر بأن المسألة أكثر تعقيداً من ذلك، فإننا حين نعيش في قصر نحلم بالكوخ، وحين نسكن كوخاً نحلم بالقصر، وبتعبير أدق ، لكل منا لحظاته التي يحلم فيها بالكوخ وأخرى يحلم فيها بالقصر، فإننا تارة نحب ان نهبط قريباً من الأرض، أرض الكوخ، وتارة أخرى نحب ان نسيطر على الافق بكامله من فوق قلعه[٣٣]، أو قصر .

لذلك جاء هذا التنويع في الترغيب في النص المقدس ليغطي جميع آمال الناس مهما اختلفت أنواعهم ومشاربهم وأحوالهم .

وليست صورة المكان المتمثل بالغرف أو القصور المبنية التي يسكن فيها الناس في الجنة هي الوحيدة التي تم ذكرها في القرآن الكريم ، فالنص المقدس ذكر صورة أخرى وسكناً من نوع آخر ربما يفضله بعض الناس، بل ربما اعتادوا على العيش فيه في الحياة الدنيا وفضلوه على المساكن المبنية بالآجر والطابوق والحجر .

فالحياة خارج البيوت والقصور المبنية مفضلة أيضاً، يعشقها كثير من الناس، لذلك جاء ذكر (الخيام) في أحدى صور الجنة في القرآن الكريم ، قال تعالى :[فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ] (الرحمن : ٧٠ – ٧٢) .

فالخيام جمع خيمة وأصلها بيت من بيوت الاعراب مستديرة تُبنى من عيدان الشجر[٣٤]، يتخذه الاعراب من الثياب أو عيدان الشجر ، وأراد بها القرآن الكريم بيوتاً يعلم الله حقيقتها وشكلها وكيفية صنعها وجمالها [٣٥]، تلك التي يتخذها الانسان سكناً دائماً له ، أو يستغلها في رحلاته ونزهاته في الجنة مع الحور العين .

فهو هنا ذكر الاسم العام الدال على هذا النوع من السكن المتمثل بالخيمة ، وترك التفاصيل والاشكال والالوان والابعاد ليرسمها المتلقي في مخيلته وينتهي إلى غاية ما يدركه من صور الجمال لهذا المكان الخاص المرسوم داخل ذلك المكان العام المتمثل بصورة الجنة التي تجري من تحتها الأنهار .

ويقترب النص القرآني أكثر في بعض الصور القرآنية المباركة ويذكر تفاصيل أقرب للمكان، فإذا كانت صورة الجنة التي تجري من تحتها الانهار تمثل الصورة الكبرى لمكان النعيم في الجنة ، واذا كانت صور المسكن المتمثلة بالغرف أو القصور أو الخيام تمثل الصورة الوسطى للمكان هناك ، فإن الصورة الأصغر للمكان هي تلك التي رسم بها النص القرآني صورة المكان الخاص الذي يجلس فيه المؤمنون وفيه يريحون ويتكئون .

فتارة يصف مكانهم بأنهم [هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ] (يس : ٥٦ – ٥٧)، أي : أنهم وأزواجهم متكئين في حال طيبة تحت ظلال الاشجار التي لا حر فيها ولا برد .

وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم ، والارائك : هي السرر أو الوسائد التي يجلسون عليها جلوس الملوك اذ ليس عليهم من الاعمال شيء [٣٦].

وقيل متكئون على سرر عليها الحجال (الناموسيات) وهذا منتهى ما تسمو اليه النفوس من اللذة والغبطة [٣٧].

بل رسم صورة أوضح لجلستهم ومكانهم، فهم [عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ] (الصافات : ٤٤)، في دلالة على الصفاء والود والمحبة فيما بينهم، إذ ربما يتصور بعضهم أنهم في مكان واحد، وتحت الظلال، وعلى الارائك، إلا ان لكل واحد منهم وجهة مختلفة عند جلوسه، وكأنهم متخاصمين، يخيم الصمت فيما بينهم، ولهذا أوضح وفصل القول في كونهم متقابلين، أي متوادين متحابين . واذا كان الخطاب إلى جمع المتقين في الجنة فإننا نجد بأن النص القرآني يذكر ما يدل على كثرة تلك السرر لكثرة عددهم، وانهم في مكان أوسع من المكان الذي سبق ذكره، ذلك الذي ربما كان مناسباً للخلوة مع أزواجهم، فهم هنا[مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ] (الطور:٢٠)، اي مصطفة موصولة بعضها ببعض ، والمعنى أنهم يجلسون في مكان فيه سرر مصفوفة متكئين عليها أو على الوسائد والنمارق التي عليها [٣٨]، جلسة المتكئ الذي لا تكلفة عليه ولا تكلف لديه[٣٩].

وهذه الفرش التي يتكئون عليها من أنفس الفرش صنعة وجمالاً فهم [مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ] (الرحمن : ٥٤)، أي من الحرير الغليظ [٤٠]، فكيف في ظواهرها التي من المؤكد أنها ستكون خيراً منها، كأَنْ تكون من سندس كالديباج الرقيق الناعم ، وهذا مختلف عما موجود في الدنيا لأن البشر يظهرون جمال الظاهر ويتركون في العادة الباطن الذي لا يبصره آخر، اما في الاخرة فان زينتها حقيقية لا فرق فيها بين الظواهر والبواطن [٤١].

وفي مكان آخر من القرآن الكريم يصف النص المقدس مكاناً خاصاً مختاراً لعباده الصالحين ، ويفصل رسم صورته، ويحدد ملامح أبعاده، وبوساطة وصف موضعه وعلوه والاثاث الذي فيه من سرر وفرش ووسائد يتنعم بها المؤمنون في جلستهم وراحتهم قال تعالى :[وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ] (الغاشية: ٨ – ١٦)، فهي في جنة عالية الدرجة والشرف والجلال ، ليس فيها ما يكدر اسماعهم من أصوات أو أحاديث مزعجة ، عند عين جارية ، فوق سرر مرتفعة لجلال من يجلس عليها ، وأكواب وأباريق فيها ما لذ من شراب الجنة الذي أعده الله لعباده ، فضلاً عن الوسائد المصفوفة في ذلك المجلس على شكل هيئة المجالس الفاخرة في الدنيا ، تلك الموضوعة على بسط فاخرة مبسوطة تملأ ذلك المكان [٤٢].

أي أنه حدد موضع ذلك المكان من خلال تحديد كونه في مكان مرتفع من أمكنة الجنة، عند عين جارية، لا يسمع فيها إلا خرير الماء في هدوء وصفاء، يجلس عندها المؤمنون على سرر

مرتفعة عن الأرض، في دلالة على العزة والغنى، وتملأ المكان البسط المبثوثة التي صفت فوقها الوسائد والتي توزعت في أرجاء ذلك المكان .

فالمكان هنا وما فيه من تفاصيل النعم والملذات التي ذكرها النص المقدس، يُثير في نفس المتلقي رغبات مختلفة، وآمال متنوعة، للحصول على شرف الدخول في ذلك المكان أو المكوث عنده، فلا يوجد أحد من البشر لا يحلم أو لا يتمنى الحصول على لحظة هناء وسعادة في ذلك المكان الذي جمع غاية أركان الجمال في الجنة .

وبقي ان نشير إلى ان النص المقدس اشار إلى وجود أبواب للجنة التي وعد المتقون ، يحرسها الملائكة ، ويفتحونها لمن أذن له الله بالدخول ، قال تعالى :[وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ] (الزمر : ٧٣) .

الأمر الذي يجعلنا نتخيل بأن هذه الأبواب لابد لها من سور يفصل الجنة مكاناً عما سواها، فالمكان خارج تلك الأبواب يختلف عن المكان داخلها، وقد ترك النص لخيال المتلقي تصور شكل تلك الأبواب وحجومها، معتمداً على ما اختزنه خياله من صور أبواب الاسوار أو القلاع العظيمة في الدنيا، حجماً وقوة وضخامة ، ليتصور أبواب الجنة في الاخرة، تلك التي من المؤكد انه سيضيف اليها من مخيلته فضلاً عن الحجم، جمالاً وجهاءً وروعة صنعة ودقة تصميم، واذا سبح في خياله أكثر جعل عليها الواح الذهب والفضة ورصعها بالدر والزمرد والياقوت .

وبعد ان ذكرنا بعض صور المكان في الجنة، وأنواع النعم والملذات فيه، لابد ان نشير إلى ان " اكمل محاسن الجنات جريان المياه في خلالها وذلك شيء اجتمع البشر كلهم على انه من أنفس المناظر لأن في الماء طبيعة الحياة ، ولأن الناظر يرى منظراً بديعاً وشيئاً لذيذاً ، وأودع في النفوس حب ذلك . فإما لأن الله تعالى أعدّ نعيم الصالحين في الجنة على نحو ما ألفته أرواحهم في هذا العالم، فإن للألف تمكناً من النفوس، والأرواح بمرورها على هذا العالم ، عالم المادة اكتسبت معارف ومألوفات لم تزل تحن اليها وتعدها غاية المنى ....، وإما لأن الله تعالى حبب إلى الأرواح هاته الاشياء في الدنيا لأنها على نحو ما الفته في العوالم العليا قبل نزولها للأبدان " (٤٣)، وكذلك تكون دلالة الترغيب للجنات التي تجري من تحتها الأنهار، أكثر في بلد تغلب عليه الحرارة لبلاد العرب أو غيرها من البلدان، وهذا شيء طبيعي ينسجم مع طبيعة النفس البشرية ورغباتها التي اودعها الله فيها (٤٤).

وأخيراً وعند التأمل في صور الجنة ودلالة المكان الموصوف فيها ، نجد أن الله تعالى وصف لنا صوراً وأمكنة وأنواع نعيم نعرفها في اطارها العام إلا انها ستكون في الجنة في غاية الكمال والجمال . اذ ربما لو كانت تلك الصور والامكنة جديدة كل الجدة وغريبة عما رآه البشر ورغبوا بالحصول عليه . ربما كانت دلالة الترغيب في النص المقدس غير هذه التي نجدها فيه، ولكن حاشاه من نص مقدس معجز كامل منسق إلا ان يخاطب جميع البشر بما اتفق جميعهم على حبه، رغبة وشوقاً واملاً في نواله والحصول عليه .

دلالة المكان في صور النار في القرآن الكريم

تختلف دلالة المكان على النفس البشرية باختلاف طبيعة ذلك المكان من جهة ، ومدى العلاقة التي تربط ذلك المكان بالإنسان ومشاعره وذكرياته من جهة أخرى، فالمكان الموحش والمظلم يتفق أغلب الناس على النفور منه والابتعاد عنه، فهو المكان العدو بالنسبة لهم في مقابل المكان الحميم والصديق الذي تهفو اليه نفوسهم، والذي ينماز بصفات تكون بالضد من تلك الصفات، ولاسيما اذا كان ذلك المكان يلبي حاجات الانسان المتمثلة بالحياة الهانئة المملوءة بالغبطة والسعادة .

وربما يشعر بعض الناس بالألفة عند بعض الامكنة العدو التي تتصف بالصفات التي ذكرنا سابقاً . وذلك ربما يرجع إلى وجود علاقات وروابط تربط ذلك الانسان بتلك الامكنة، كأن تكون روابط الحنين إلى الماضي وذكرياته لمن عاش طفولته مثلاً في مثل تلك الامكنة واعتاد عليها .

إلا ان ذلك يبقى عند افراد من الناس، ولا يمكن اعمامه على الجميع، بل هناك درجة من وحشية المكان ووعورته لا يمكن لأي إنسان تحملها . فإذا ازدادت قسوة المكان وارتفعت حدة الوعورة والوحشة فيه، فإن جميع البشر لا يستطيعون العيش فيه أو الصبر على قساوته .

واذا اضيف إلى هذا المكان العدو بالنسبة للإنسان وجود مختلف أنواع العذاب فضلاً عن طول مدة المكوث عنده لتصل إلى الخلود في بعض الاحيان، كان الخوف منه أكبر والنفور منه أشد واقوى .

وهذا ما حفل به النص المقدس في صور النار والعذاب في الآخرة، والذي كان لصورة المكان فيه دوراً مبرزاً واثيراً واضحاً في اثارة مشاعر الخوف والفزع لدى المتلقي خوفاً من ذلك المصير الذي سيلحق بالكافرين والمنافقين والمكذبين وجميع من يخرج عن طاعة الله وعبادته في الاخرة .

فالقرآن الكريم قصد إلى استعمال صُوَرٍ فنية ترسم في مخيلة القارئ أقسى صورة للمكان الذي يخافه البشر ، واقوى صورة للعذاب الذي يفرق قلبه منه ، وما ذلك إلا من باب الترهيب الذي ورد في مقابل الترغيب لمن صلح واطاع الله والتزم بتعاليمه .

فالقرآن الكريم يحدد بعض ملامح المكان العام للنار في الآخرة، ويترك باقي تفاصيله وتحديد ابعاده إلى المتلقي ليرسم في مخيلته صوراً مختلفة للمكان وطبيعته وأنواع العذاب الذي فيه . واذا كان ذلك العنصر المذكور مضخماً كان من الطبيعي ان تتضخم باقي عناصر الصورة، فضلاً عن الابهام والغموض الناتج من عدم ذكر جميع عناصر الصورة الامر الذي يولد مزيداً من الانفعال والترهيب لدى المتلقي، وهو الغاية والوظيفة من استعمال صورة النار في القرآن الكريم .

فمكان العذاب في الاخرة عبارة عن مكان تملؤه النار ، نار شديدة قوية وقودها الناس والحجارة، قال تعالى :[فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ] (البقرة : ٢٤).

فالظاهر من النص ان الناس والحجارة وقود النار وحطبها، وإنما جاء بهذا الوصف لها تهيباً وتعظيماً لقوتها بانها تحرق الحجارة والناس جميعاً [٤٥]، فهذه النار تختلف عن غيرها من النيران، وذلك لأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، بخلاف بقية النيران التي إنْ أُريد أحراق الناس أو احماء الحجارة بها أوقدت أولاً بوقود ثم طُرح فيها ما يراد إحراقه أو احماؤه، وأما هذه النار – اعاذنا الله منها برحمته الواسعة – فإنها توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار، وأنها لافراط حرها، وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهيبها [٤٦].

وهناك دلالات أخرى نستشفها من هذه الصورة للنار غير قوتها وشدتها . وهي دلالات تفيد بأن النار تمثل مكان العذاب، بل حدود مكان العذاب تتطابق مع حدود النار ولهيبها، فهي ليست في جهة دون أخرى داخل مكان العذاب في الآخرة . بحيث يمكن ان تحرق جزءاً أو جهة من الإنسان دون غيرها اذا اقترب منها . بل أنها نار تحيط به من جميع الجوانب وتحرق جسده من جميع الاتجاهات كما تحيط النار بالحطب والوقود داخلها .

وفضلاً عن قوتها وشدتها هي نار عظيمة كبيرة الحجم تتسع جميع الأمم العاصية من الجن والانس قال تعالى:[قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ] (الاعراف : ٣٨) .

فهي قادرة على استيعاب جميع الأمم من الجن والانس ومهما القي فيها من أعداد ، بل هي تريد المزيد، قال تعالى :[يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ] (ق : ٣٠) .

لذلك ستكون هذه النار في مخيلة المتلقي ناراً عظيمة كبيرة المساحة، بل إن أبعاد مكانها تركت بنهايات مفتوحة، فهي واسعة وسعة خيال المتلقي، وكبيرة بحجم قدرة الخيال على التخيل، مما يزيد الصورة قوة وتأثيراً وترهيباً .

وعادة ما يحفر الانسان حفرة صغيرة في الأرض يوقِدُ فيها النار، وربما يضع حولها مجموعة من الاحجار ليحميها من الرياح التي ربما تطفئها، وليضمن استمرار اشتعالها، وكلما كبرت النار كبر معها مكانها والحفرة التي تضمها .

وهكذا في نار الاخرة بحجمها الكبير الذي يتسع لملايين الامم، فمن المؤكد انها تضرم في حفرة كبيرة تتناسب مع حجمها الكبير، ودليل على ذلك قوله تعالى :[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا] (النساء : ١٤٥)، أي ان للنار طبقات تنزل إلى الأسفل " والنار سبع دركات، سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض " [٤٧]، وكلما نزلنا إلى الطبقة السفلى كانت النار أشد وأقوى، نظير ما معروف عن النار في الدنيا، فالطبقة السفلى تكون أكثر حرارة، لأنها الأقرب إلى الوقود، والأكثر اتقّاداً وبقاءً من باقي أجزاء النار .

وفي مكان آخر من القرآن الكريم، يضرب الله مثلاً لأعمال الظالمين في الحياة الدنيا وكيف تنهار في نار جهنم لأنها لا أساس لها ولا قرار ، فهي كتلك التي على شفا جرفٍ هارٍ سرعان ما تنهار في نار جهنم، قال تعالى :[أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] (التوبة : ١٠٩)، وهو ما يمنح المتلقي مزيداً من الإضاءات في تخيل شكل النار، وتصور الحفرة العظيمة والعميقة التي تمثل المكان الذي تشتغله .

ومن الطبيعي ان تكون النار التي بهذا الحجم ناراً عظيمة الارتفاع واللهب . قادرة على أبصار المجرمين من بعيد، فكلما زاد لهيبها ارتفاعاً زادت قدرتها على رؤية مسافة ابعد، وهكذا يريد النص القرآني لنا ان نتخيلها كنوع من أنواع التخييل والتشخيص في رسم الصورة القرآنية، قال تعالى :[إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا] (الفرقان:١٢). فصوت زفيرها وتغيظها يسمعه المجرمون من جانبهم أيضاً على الرغم من بعدهم عنها وما ذلك إلا دلالة على كبر حجمها وشدة قوتها وارتفاع لهيبها .

ويعد أن يتم الحساب ويصدر الحكم على الكافرين بالعذاب، يتم سوقهم واحضارهم حول جهنم وهم جاثون على الركب من هول ما ينتظرهم، قال تعالى :[فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ

وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا] (مريم : ٦٨ – ٦٩)، أي : أنهم يقبلون من المحشر إلى شاطئ جهنم جثاة على ركبهم لما يدهمهم من شدّة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيحبون على ركبهم حبواً [٤٨].

الذي يعنينا من هذه الصورة وجود مكان حول جهنم يجُمع فيه المجرمون قبل إلقائهم فيها وذلك الالقاء الشديد الذي نستكشفه من دلالة الفعل (لننزعَنَّ) وقوته في هذه الآية ، أو بدلالة فعل (الالقاء) وشدته [٤٩]، في قوله تعالى :[أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ] (فصلت :٤٠)، وقوله تعالى :[إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ] (الملك:٧).

وللنار مكان خاص في الاخرة، لا يتم الدخول اليه إلا من خلال أبواب سبع . قال تعالى :[إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ] (الحجر : ٤٢ – ٤٤) .

فالنص ذكر عدد الأبواب للدلالة على وسعة حجم جهنم وكبرها، وكيف انها ستكون قادرة على استيعاب جميع اتباع الشيطان من الغاوين . مكتفياً بذلك الوصف، وتاركاً للمتلقي رسم صور تلك الأبواب وحجومها واشكالها وقوتها وبشاعتها وكيفية غلقها وفتحها وغير ذلك ، وكل بحسب مقدرته وثقافته .

وهذه هي الصورة العامة لمكان العذاب في الاخرة ، تلك التي اختار في داخلها صوراً أكثر قرباً واصغر ابعاداً أيضاً، نظير تلك الصور التي ذكرت من الجنة وهي المتمثلة بصور المساكن والغرف والقصور وغيرها .

فمن تلك الصور الاقرب للمكان وطبيعة العذاب الذي فيه، ما نجده في قوله تعالى : [لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ] (الأعراف : ٤١)، إذ نجد أن النص المقدس قد صور حال المعذبين في النار ، فمن تحتهم مهاد من النار في جهنم ، ومن فوقهم اغطية وغواش من العذاب ، فالمهاد بكسر الميم ما يُمهد اي يفرش ، و(غواش) جمع غاشية وهي ما يغشى الانسان ، اي يغطيه كاللحاف ، فقد شبه الله ما هو تحتهم من النار بالمهاد ، وما هو فوقهم منها بالغواشي ، وذلك كناية على انتفاء الراحة لهم في جهنم، فإن المرء يحتاج إلى المهاد والغاشية عند اضطجاعه للراحة فإذا كان مهادهم وغاشيتهم النار فقد انتفت راحتهم [٥٠]، وانتفى سكونهم واستقرارهم، فكيف يستقر ويسكن من كان مهاده من النار ؟، وهذا تصوير يجعل المتلقي يتخيل ذلك المعذب في النار وهو يتقافز من الالم فوق ذلك المهاد، كتقافز السمكة على

الأرض عند اخراجها من الماء، حيث لا راحة ولا سكون ولا استقرار في ذلك المكان .

وكذلك من الصور الاقرب للمكان في جهنم ما نجده في قوله عز وجل :[لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ] (الزمر : ١٦) .

اذ يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية : " والظل : اسم جمع ظلة، وهي شيء مرتفع من بناء أو أعواد مثل الصُّفَّة يستظل به الجالس تحته، مشتقة من الظلّ لأنها يكون لها ظلّ في الشمس، .... وهي هنا استعارة للطبقة التي تعلو أهل النار في نار جهنم بقرينة قوله : [مِنَ النَّارِ]، شُبهت بالظلة في العلو والغشيان مع التهكم لانهم يتمنون ما يحجب عنهم حرَّ النار فعبر عن طبقات النار بالظلل إشارة إلى انهم لا واقي لهم من حر النار على نحو تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وقوله [لَهُمْ] ترشيح للاستعارة . وأما اطلاق الظلل على الطبقات التي تحتهم فهو من باب المشاكلة ولأن الطبقات التي تحتهم من النار تكون ظللاً لكفار آخرين لأن جهنم دركات كثيرة " [٥١].

ولعل اختيار الظلل من تحتهم ليس للمشاكلة فقط كما ذهب ابن عاشور . بل ان النص يريد إضفاء أحساس شبه واقعي للمتلقي على ما يشعر به الإنسان في ذلك المكان، فهو لتقلبه في النار يختلط عليه التمييز في الاتجاهات في أيهما الاعلى أو الأسفل، فضلاً عن ظلام النار وشدة العذاب، فالإنسان في داخل تلك النار لا يستقر له مكان، بل هو أشبه بشرارة رماد تتقلب في لهيب النار ودخانها، قال تعالى :[يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا] (الاحزاب : ٦٦) .

ويأتيه الموت من كل مكان ومن جميع الاتجاهات وهذا ما ذكره الله في قوله :[مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ] (إبراهيم : ١٦ – ١٧)، اي من جميع الجهات [٥٢]، ومع ذلك فانه لا يموت، فهو يتقلب في داخلها خالداً في العذاب الغليظ الشديد .

وعلى الرغم من شدة النار وقسوة العذاب في هذه الصور ، إلا اننا نجد صوراً اخرى لأمكنة خاصة في داخل هذه النار يضاعف فيها العذاب ويزاد فيها السعير أكثر مما ذكر، وتسود ظلمة النار عندها فوق ظلمتها، في صور تقابل صور تلك الاماكن المختارة في الجنة، حيث تكون مظاهر النعمة فيها غير كل الاماكن، وطبيعة الظلال والعيون والأرائك والنعيم مميزة عن باقي الاجزاء في الجنة .

ومن تلك الصور الخاصة لبعض الاماكن التي يضاعف عندها العذاب في النار ، ما جاء في قوله تعالى :[وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ

دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا] (الفرقان : ١٣). ففضلاً عن قسوة الالقاء وشدته ، وفضلاً عن حرارة النار التي يلقون فيها . فانا نجد بأن هناك نوعاً مضافاً من العذاب يتمثل بالضيق والكرب عند الالقاء . فالإنسان ينقبض صدره من الضيق وهو في الحياة الدنيا وعند اي نوع من الضغط أو الازدحام . فكيف سيكون شعوره حين القائه في النار ومن مكان ضيقٍ ؟ واذا اضفنا إلى ذلك كونه مقيداً بالاصفاد فمن المؤكد أن شعوره سيكون أشد وأقسى .

وقد ذكر أبو السعود في تفسيره : ان (ضيقاً) صفة للمكان تفيد زيادة الكرب ، فإن الكرب مع الضيق كما أن الروَّح مع السعة ، وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض [٥٣]، وربما كان هذا الضيق ناتج من تزاحم الناس في النار ، "فالاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها " [٥٤].

وقد جاءت صورة المكان الضيق هذه في النار في مقابل صورة المكان الواسع خاص في الجنة ذلك الذي ذكره الله لعباده المخلصين فيما قبل هذه الآية في السورة نفسها عندما قال : [تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا] (الفرقان : ١٠) .

ومن الاماكن الاخرى التي يضاعف فيها العذاب في النار ما جاء في قوله تعالى :[وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ] (المرسلات : ٢٨ – ٣٣) .

فالظل هنا دخان جهنم لكثافته ، وقد عبر عنه القرآن بالظل تهكماً بهم، لانهم يتشوقون ظلاً يأوون إلى برده . كذلك الذي منَّ الله به على أصحاب الجنة [وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا] (النساء : ٥٧) . فضلاً عن ورود ذلك الظل على صيغة المفرد . لأنه جعل لهم ذلك الدخان في مكان واحد ليكونوا متراصين متزاحمين تحته تراصاً وتزاحماً ليزيدهم الماً فوق ألمهم ، وهذا الظلُ ظلٌ عظيم كثيف ذو ثلاث شُعَب اي ذو ثلاث فرق وطوائف ، فان النار اذا عظم اشتعالها تصاعد دخانها من طرفيها ووسطها لشدة انضغاطه في خروجه منها [٥٥].

وليس هذا فقط، بل هذه النار العظيمة لها شرر عظيم بحجم القصر، ترميه بقوة اشتعالها واندفاع دخانها، وهي صورة مضخمة عن صورة الشرر المكون من قطع الحطب أو الرماد الدقيقة التي يدفعها لهب النار في الهواء .

وهي تشبه من وجه آخر – (ولاسيما حين تأخذ في الارتفاع) – مجموعة من الجمال الصفر . تلك التي لم يقتصر وجه الشبه فيها على اللون

الذي تعكسه النار على الشرر المتطاير المبتعد عنها ، بل هناك وجه شبه بين الصورتين في التفرق والعِظَمِ والثقل وحركة الابتعاد [٥٦].

ومن الاماكن الاخرى المذكورة في صور النار في القرآن الكريم مكانيين مميزين بشدة العذاب فيهما ، الأول : سواء الجحيم : اي وسطها [٥٧]، قال تعالى :[خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ] (الدخان : ٤٧ – ٤٨)، فالزبانية يقودونه بعنف وغلظة ، ويأخذونه من تلابيبه إلى وسط الجحيم . حيث العذاب الاليم حين يصب فوق رأسه من الحميم .

وهذا المكان الظاهر منه ليس في كونه مكاناً للعذاب وسط جهنم فقط ، بل نلمح منه دلالات أخرى تتمثل في دلالة كونه مكاناً مشهوداً يتوسط جهنم وينظر الجمع إليه . لا يقاد إليه إلا عتاة المجرمين، الذين يكون عذابهم مشهوداً وتحت انظار الجميع زيادةً في العذاب والتنكيل .

والمكان الثاني هو : أصل الجحيم ، قال تعالى :[أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ] (الصافات : ٦٢ – ٦٥)، فالأصل : اسفل كل شيء [٥٨]، واصل الجحيم : قعر جهنم [٥٩]، وقيل في معنى (تخرج) هنا : تنبت [٦٠]، اي : انها شجرة تنبت في قعر الجحيم واغصانها ترتفع إلى دركاتها [٦١]، وهي شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات كريهة يُكره أهل النار على تناول بعض أجزائها كنوع من اقسى أنواع العذاب في جهنم [٦٢].

ومعلوم ان في دلالة (تنبت) دلالة على وجود التربة التي تخرج منها النباتات . اي سيتخيل المتلقي وجود أرضٍ اسفل النار تمثل قعر الجحيم ، تنبت فيها هذه الشجرة نظير ما موجود في عالم الدنيا، إلا ان ذلك سيكون مختلفاً عما تم وصفه في صور النار والأمكنة التي فيها في القرآن الكريم ، حيث لم يتم التطرق إلى وجود أرض سفلى يتم الاستقرار عندها، فجميع الصور تكشف عن ظلمات تحيط بالمعذبين وأنهم لا قرار لهم ولا استقرار ، بل لم نجد صورة توحي بأن لهم قدماً مستقرة على أرض داخل جهنم، ولهذا جاء النص المقدس بـ (تخرج) بدلاً من (تنبت) ، لتنسجم مع الصورة الكلية للنار في القرآن الكريم . فاستعمال الفعل (تخرج) فيه دلالة على وجود التخييل بالتشخيص من خلال الحركة والحياة فالصورة تخيل في ذهن السامع بأن تلك الشجرة تخرج متحركة مترفعة من أسفل الجحيم حيث الظلمة وقسوة النار وشدتها ، كأنها الافعى بل أشد قبحاً برؤوسها التي تشبه رؤوس الشياطين، فهي تُشبه كائناً مرعباً يطارد أولئك المجرمين في جهنم ، فضلاً عن اجبارهم على الاكل منها .

ومن ذلك نستنتج ان دلالة المكان في صور النار في الاخرة، جاءت دلالة نفسية تملأها مشاعر الخوف والترهيب، وذلك لأن المكان كان مكاناً مظلماً خانقاً ضيقاً حارقاً بلهيب جهنم . بل لم نجد في صور المكان في النار سواء كانت الصور العامة للمكان في جهنم أو الصور الخاصة منها صوراً للأرض أو اي اشارة إلى مكان يستقر عنده المعذبون . بل كانت صفة عدم الاستقرار هي السمة السائدة في صور المكان في جهنم، وذلك كنوع من أنواع العذاب الموجودة هناك ، والتي جاءت في مقابل صورة المكان المستقر في الجنة حيث الراحة والطمأنينة التي يوفرها المكان الحميم للمنعمين فيها، كنوع من أنواع الرحمة والجزاء هناك.

الخاتمة

بعد الوقوف على صور الجنة والنار في القرآن الكريم يمكن لنا ان نستنتج بأن المكان جزء أساس في هذه الصور والمشاهد . فلا يمكن لأي صورة ان تتشكل من دون مكان تكون فيه، فهو الحيز الذي تشغله المادة، وتتشكل في داخله .

وقد فُصَّل النص المقدس المكان في صور الجنة، فقد ذكر المكان العام لها والمتمثل بذلك المكان الذي تشغله الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وكذلك ذكر في صور الجنة المكان الخاص أيضاً، كنوع من أنواع الامكنة المميزة بالنعيم هناك .

فقد كان تفصيل المكان وما يحويه جزء أساس من اضفاء الواقعية للصورة أو المشهد في خيال المتلقي، مما يزيده ترغيباً لتلك الصورة، وهو الوظيفة الكامنة من وراء التصوير في صور الجنة في القرآن الكريم .

وقد كانت دلالة المكان ظاهرة على نفسية المتلقي، فالمكان الصديق والحبيب يتوق إليه الإنسان في احلامه ويقظته ، فهو يجد الراحة والسكون والطمأنينة والسعادة عنده، وهذا ما قصده النص المقدس، اذ صور للإنسان أجمل مكان يمكن ان يتخيله ويرغب فيه، ترغيباً له على سلوك سبيل الصلاح في الحياة الدنيا، لنوال ذلك النعيم في الآخرة .

وأما دلالة المكان في صورة النار في الآخرة، فقد كان لها دورٌ بارزٌ في عملية الترهيب على المتلقي، وذلك لأن المكان المذكور في تلك الصور كان مكاناً عدواً مكروها مرعباً للإنسان، يتمثل بمكان النار والعذاب والظلام والقسوة وكل ما يتصوره الإنسان من مكان سالبٍ للحياة والراحة والاستقرار .

فقد صور النص المكان العام للنار بما يشبه الحفرة العميقة المتناهية بالكبر والعظمة . بحيث لا يرى ابعادها، ولا يرى قعرها، تلتهب في داخلها نار اعظم، عالية اللهب، شديدة الحرارة، يقذف بها المذنبون، فتقلبهم بلهيبها وتحرقهم

بحرارتها، ولا يرون فيها إلا ظلمات بعضها فوق بعض .

وقد صور النص كذلك صوراً لأمكنة خاصة في الجحيم، يتضاعف عندها العذاب وتزداد فيها الظلمة، والقسوة، فتتضاعف دلالة الترهيب لدى المتلقي عند تخيلها خوفاً وفرقاً، علـه يجتنب المعاصي في حياته الدنيا ويسلك طريق الصلاح الذي رسمه الله له .

وصورة المكان في النار جاءت قليلة التفاصيل، ضبابية المعالم، سوداء اللون، لتزيد من دلالة الخوف عند المتلقي، في مقابل صورة المكان في الجنة، تلك التي جاءت مفصلة الابعاد، دقيقة التصوير، منوعة الألوان، لتزيد من دلالة الترغيب عند المتلقي .

وأخيراً كان لاستقرار المكان دلالة كبيرة في إضفاء شعور الطمأنينة والسكينة والراحة لدى المتلقي في صور الجنة كنوع من أنواع النعيم هناك . في مقابل عدم استقرار المكان بل عدم ذكر مكان يضع الإنسان عليه قدمه في جهنم، فهو يتقلب بين لهيب النار في جهنم لا يستقر له قرار ولا يعرف أو يميز في داخلها الابعاد والاتجاهات كنوع من أنواع العذاب وزيادة القلق والالم هناك، اعاذنا الله واياكم من النار ورزقنا الجنة التي تجري من تحتها الأنهار أنه سميع مجيب .

هوامش البحث

(١) ظ : تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، مادة (مكن)، ج ٣٦ ، ص ١٨٩ .

(٢) ظ : التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان (١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢م) : ص ٢٢٧ .

(٣) ظ : التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ٣٦ .

(٤) ظ : التبيان : الطوسي : ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٥) ظ : الكشاف : الزمخشري : ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٦) ظ : الكشاف ، الزمخشري : ج ١ ، ص ١٣٥ . ومن تلك الجنان ، ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في كونها سبع : ((جنة الفردوس، وجنة عدن ، وجنة النعيم ، ودار الخلد، وجنة المأوى، ودار السلام، وعليوُّن)) . ينظر : تفسير البيضاوي : ج ١ ، ص ٥٣ .

(٧) ظ : الكشاف ، الزمخشري : ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٨) ظ : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ج ١ ، ص ٣٥٥ .

(٩) ظ : تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من مشاهير القرن الثاني عشر الهجري)، ط ١ ، طهران ، ١٣٦٦ ش : ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(١٠) ظ : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، ج ١ ، ص ٣٥٥ .

(١١) الكشاف : الزمخشري : ج ١ ، ص ١٣٥ .

(١٢) نظم الدرر : البقاعي : ج ١ ، ص ١٩٢.

(١٣) مواهب الرحمن ، السيد السبزواري قدس سره : ج ١ ، ص ١٧٦ .

(١٤) وقد وردت الانهار بصيغة المفرد في قوله تعالى من سورة القمر :[إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ] (القمر :٥٤). وفسر ذلك الرازي ، بأن النهر هنا اسم جنس يقوم مقام الأنهار ويحتمل أن يكون التنكير للتعظيم . ينظر : تفسير الرازي ، ١٤٠/٢ .

(١٥) الكشاف : الزمخشري : ج ١ ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(١٦) ظ : التحرير والتنوير ، ابن عاشور : ج ١٤ ، ص ٥٥ .

(١٧) يقول ابن عاشور في تفسيره لتلك المساكن :" وعطفُ [وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ] على [جَنَّاتِ] للدلالة على أن لهم في الجنات قصوراً ومساكن طيبة، أي ليس فيهما شيء من خبث المساكن من الأوساخ وآثار علاج الطبخ ونحوه". التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، ص ٢٦٤ .

(١٨) البقرة / ٢٥ ، آل عمران / ١٥ ، ١٩٨ ، النساء / ٥٧ ، ١٢٢ ، الرعد / ٢٢ ، الواقعة / ١٠ .

(١٩) الكشاف ، الزمخشري : ج ٣ ، ص ٤٦٧ . التبيان : الطوسي ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ .

(٢٠) التحرير والتنوير : ابن عاشور : ج ١١ ، ص ٢٣ .

(٢١) ظ : تفسير مجمع البيان ، الطبرسي : ج ٨ ، ص ٥٦ .

(٢٢) ظ : المصدر نفسه : ٨ / ٥٦ .

(٢٣) ظ : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، ج ٢١ ، ص ٢٤ .

(٢٤) ظ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الرازي : ج ٢٥ ، ص ٨٣ .

(٢٥) قال تعالى :[وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ] (الزمر : ١٧ – ١٨) .

(٢٦) ظ : مجمع البيان : الطبرسي ، ج ٨ ، ص ٥٧٩ .

(٢٧) ظ : المصدر نفسه : ج ٨ ، ص ٥٧٩ .

(٢٨) ظ : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، ج ٢٣، ص ٣٧٤.

(٢٩) ظ : المصدر نفسه : ج ٢٣ ، ص ٣٧٤ .

(٣٠) ظ : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٥ .

(٣١) ظ : المصدر نفسه : ج ٢٣ ، ص ٣٧٥ .

(٣٢) ظ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الرازي : ج ٢٦ ، ص ٢٦٣ .

(٣٣) ظ : جماليات المكان ، جاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، دار الحرية للطباعة – بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٩٦.

(٣٤) ظ : لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (خيم) . وظ : القاموس ، المحيط للفيروز آبادي ، مادة (خيم) .

(٣٥) ظ : البصائر ، يعسوب الدين رستكار جويباري : ج ٤٣ ، ص ٢٥ ، وجاء في مجمع البيان : قيل ان لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلاً ، عن ابن مسعود وروي عن النبي ﷺ انه قال : الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلاً ... ، وعن أنس عن النبي ﷺ قال : مررت ليلة اسري بي بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله، فقلت : يا جبريل من هؤلاء، قال : هؤلاء جوار من الحور العين استأذنَّ ربهنَّ عز وجل ان يُسلِّمنَ عليك، فأذن لهن، فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نيأس ازواج رجال كرام ثم قرأ ﷺ (حور مقصورات في الخيام). مجمع البيان : الطبرسي، ٩ / ٥٢٢ .

(٣٦) ظ : التبيان : الطوسي ، ج ٨ ، ص ٤٦٨ . ظ : مجمع البيان : الطبرسي ، ج ٨ ، ص ٤١٤ .

(٣٧) ظ : البصائر : يعسوب الدين رستكار جويباري ، ج ٣٣ ، ص ٧٩ .

(٣٨) ظ : التبيان : الطوسي ، ج ٩، ص ٤٠٦ . وظ : الميزان : الطباطبائي ، ج ١٩ ، ص ١٠ .

(٣٩) ظ : البصائر : يعسوب الدين رستكار جويباري ، ج ٤١ ، ص ٣٣٤ .

(٤٠) ظ : الميزان ، الطباطبائي ، ج ١٩ ، ص ٨٥ .

(٤١) ظ : البصائر : يعسوب الدين رستكار جويباري ، ج ٤٣ ، ص ٥٥ .

(٤٢) ظ : الميزان ، الطباطبائي ، ج ٢٠ ، ص ٥٣١ – ٥٣٢ .

(٤٣) ظ : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ١ ، ص ٣٥٤.

(٤٤) ظ : المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٣٥٤.

(٤٥) ظ : التبيان ، الطوسي : ج ١ ، ص ١٠٥ .

(٤٦) ظ : الكشاف : الزمخشري : ج ١ ، ص ١٣٢ .

(٤٧) ظ : المصدر نفسه: ج ١ ، ص ٦١٤ .

(٤٨) ظ : المصدر نفسه: ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٤٩) القى الشيء طرَحَه : ظ : لسان العرب ، لابن منظور ، مادة (لقا) .

(٥٠) ظ : التحرير والتنوير : ابن عاشور ، ج ١٢ ، ص ٣٠٦ .

(٥١) ظ : المصدر نفسه: ج ٥ ، ص ٣٠٠ .

(٥٢) ظ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الرازي : ج ١٩ ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

(٥٣) ظ : أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود العمادي : ج ٦ ، ص ٢٠٦ .

(٥٤) المصدر نفسه : ج ٦ ، ص ٢٠٦.

(٥٥) ظ : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٥ ، ص ٩٠ .

(٥٦) ظ : المصدر نفسه : ج ٥ ، ص ٩٠ .

(٥٧) ظ : الكشاف : الزمخشري ، ج ٤ ، ص ٢٨٤ .

(٥٨) ظ : لسان العرب : ابن منظور ، مادة (اصل) .

(٥٩) ظ : التبيان : الطوسي ، ج ٨ ، ص ٥٠٢ . و ظ : مجمع البيان : الطبرسي ، ج ٨ ، ص ٤٥٥ .

(٦٠) ظ : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٣ ، ص ١٢٣ .

(٦١) ظ : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الرازي : ج ٢٦ ، ص ١٤٢ .

(٦٢) ظ : المصدر نفسه : ج ٢٦ ، ص ١٤١ .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت ٩٨٢هـ)، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ط ١ ، الكويت ، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م) .
- التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الاعلام الإسلامي ، قم – إيران ، ١٤٠٩ هـ .
- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ،دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١٦، ٢٠٠٢م.
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م) .
- تفسير البصائر ، يعسوب الدين رستكار جويباري ، المطبعة الإسلامية ، قم – إيران ، (١٤١٢ – ١٣٩٩ هـ) .
- تفسير البيضاوي ، ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر بن محمد علي الشيرازي البيضاوي ، دار الطباعة المعمورة – مصر ، ١٢٨٥ هـ .
- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر (ابن عاشور) (ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

– التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، (١٤٠٣ هـ – ١٩٨٢م) .
– جماليات المكان ، جاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠م .
– القاموس المحيط ، للفيروز آبادي (٨١٧ هـ)، ط دار احياء التراث العربي ،بيروت – لبنان، ط الأولى، ٢٠٠١ م .
– كنز الدقائق وبحر الغرائب ، الشيخ محمد رضا القمي المشهدي (من مشاهير القرن الثاني عشر الهجري)، ط ١ ، طهران ، ١٣٦٦ ش .
– لسان العرب ، لابن منظور ، ط ٣ ، بيروت – دار صادر ، ٢٠٠٤م .
– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠١م .
– مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، إيران ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
– مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، منشورات دار التفسير ، قم ، إيران ، ط ٥ ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .
– الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، د.ت .

But the connotation of place in the form of hell in the afterlife has had a prominent role in the intimidation process on the receiver, because the place is mentioned in those pictures was a hateful, adversary and horrible place for man, which represents the hell place, suffering, darkness, cruelty and everything imagined by man as a place without life, comfort and stability.

The sacred text has pictures the public place of hell, similar to the deep pit finite as big and grandeur so as not to see the dimensions and sees its bottom, inflamed a greatest fire inside it with high flames, intense heat, spewing out culprits, tossing them with its flames and burning them with its heat, and they see only the darkness.

The text as well as characterizes images for special places of hell, the torment doubled and the darkness and cruelty increased. So the sense of intimidation doubled at the receiver when imagined, fearing and frighten may be that shuns sin in his life, and exhibits through the way of goodness that Almighty Allah ordained to him.

The image of the place in hell came with few details, blurry, and black color to increase the significance of fear at the recipient in exchange for a photo of place in paradise, the ones that come accurate detailed, dimensional imaging and assorted colors to increase the significance enticement at the recipient.

Finally, the stability of place was much significance in overflow the tranquility, serenity and comfort to the recipient at the pictures of paradise as a kind of bliss there. As opposed to the instability of the place, but not mentioning any place that man could put his step on in hell. He fluctuates between the flames of fire in hell. There is no settle and he does not know or distinguish the dimensions and trends inside it as a kind of torment and increasing anxiety and pain there. We seek refuge with Allah and beware.

Abstract

After reviewing the images of heaven and hell in the holy Qur'an we might deduce that the place is a key part in these images and scenes. Any image could not be formed without a place where it can be, it is the space occupied by the material and are formed inside it.

The sacred text has been segmented the place in images of paradise; it has mentioned its public place and this place is occupied by the gardens which beneath the rivers and also mentioned the special place as a kind of bliss distinctive places there.

The particular of place and what it is containing were a basic part of for making believable image or the scene in the imagination of the receiver, which aggravated to entice that image. It is the underlying function behind the imaging of images in paradise in the holy Qur'an.

The connotation of location was displayed on the psychology of the receiver. The place is a friend and a lover who longed by man in his dreams and his wakefulness. He finds comfort, serenity, tranquility and happiness with it and this is what the sacred text means. It characterizes to the human being the most beautiful place he can imagine and want it, to entice him to conduct the goodness way in the world life to win that bliss in the afterlife.